



-1-

لم ينسوا أنه موجود، ولكن نسوا أنه هو القوة الفاعلة في الوجود. الذين يحسبون الحسابات المادية المجردة للقوة والضعف والربح والخسارة، فلا يزالون يتحدثون عن أسلحة النظام الجباره وعن الدعم الهائل الذي يتلقاه من حلفائه في روسيا وإيران وغيرهما من البلدان، ثم ينظرون إلى الثورة فلا يرون إلا شعراً أعزل تخلٍ عنه نصف العالم وناصبه النصف الآخر العداء، شعراً بدأ ثورته بأغصان زيتون ثم انتهى ببنادق ورشاشات، فيتحسرون ويقولون: ألم لغصن زيتون أن ينصر ثورة وكيف تغلب الأسلحة الخفية المدافعة والصواريخ؟

أقول لهم: فأين الله؟

-2-

أما إني لا أعتب على هيئة التنسيق ولا على أمثالها ممن يسمون أنفسهم معارضين، ثم يحسبون تلك الحسابات فينتهون إلى عجزنا عن الصمود وتحقيق الانتصار، فيدعونا إلى الاستسلام وإلى الرضا بحل توافقي مع نظام الاحتلال والقتل والإجرام. لا أعتب على أولئك القوم إذا ما نسوا الله ولم يدخلوه في الحسابات، ولكنني أعتب على الأخ الفاضل الشيخ معاذ الخطيب

وعلى أمثاله ممن نثق فيهم ونؤمن باستقامتهم وصدقهم وإخلاصهم، ثم يحسبون حسابات مادية مجردة ليس لقدرة الله فيها اعتبار.

يقولون: لا طاقة لنا اليوم بالأسد وجنوده، كما قال قبأهم قومٌ غيرُهم: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده. فكانت العاقبة أن قتل داودُ جالوت وهزم المؤمنون الكافرين بإذن الله.

-3-

نعم، نحن لا نملك السلاح الذي يملكه عدونا وليس لنا مثلُ الذي له من حلفاء يمدونه بالدعم بلا حساب، ولكن معنا الله. كيف سمحنا لأنفسنا أن ننسى فضل الله علينا وعلى الثورة؟ هل بلغ بنا قصرَ الأمل أن فقد الثقة بالله؟ لقد كان الله مع هذه الثورة من أول يوم - بفضلِه تعالى وله الحمد - ورعاها على عينه طول الطريق، ومن لم يصدق فإني أثبت له ذلك بالحسابات والمعادلات.

إن منا من يقول إننا لا نملك إلا خيار الحوار مع النظام لأننا عاجزون عن الجسم، وأولئك النظام يدفعون النظام إلى الحوار لأنَّه عاجز عن الجسم، فقد صار الواقع الذي يعترف به الجميع - إذن - هو أن الثورة والنظام متكافئان وأن أيًّا منهما عاجز عن حسم الصراع.

هذه الفكرة ليست صحيحة لأن الثورة تتقدم باستمرار والنظام يتقلص ويتراجع طول الوقت، ولكنني سأسلم الآن - جدلاً - بأنها صحيحة وأن الطرفين وصلا إلى حالة من التوازن بحيث يعجز كل منهما عن تحقيق انتصار حاسم على الطرف الآخر. إذا فرَّغنا هذا المعنى في معادلة رياضية فإنها ستظهر على الشكل الآتي: "قوة النظام = قوة الثورة".

-4-

وإذن اسمحوا لي بتفكيك كل من طرقَ المعادلة إلى مكوناته:

النظام [4950 دبابة + 5900 عربة مدرعة وحاملة جند + 5900 قطعة مدفعة + 11600 قاذف صواريخ محمول + 1100 صاروخ مضاد للطائرات + 900 صاروخ بالستي + 815 طائرة مقاتلة (نفاثة وعمودية) + ثلث مليون جندي + ربع مليون عنصر أمن ومخابرات + دعم غير محدود من إيران + آلاف المتطوعين من مقاتلي الأحزاب الشيعية في العراق ولبنان + دعم هائل من روسيا + تواطؤ دولي + حصار أمريكي على الثورة ومنع إمدادها السلاح + ملايين السليبيين والمتخالجين من السوريين] = الثورة [شعب أعزل].

المعادلة السابقة فيها نقص واضح، فإن أي عاقل لن يصدق أن طرفيها متساويان. لا يمكن أن تتساوى قوة شعب أعزل مع القوة الجبارية التي يملكتها النظام. لا بد من وجود قوة أخرى تُضاف إلى الشق الأيسر من المعادلة لكي تستقيم الحسابات؛ يجب أن نكتب: "النظام (بكل مكوناته المفصلة سابقاً) = الثورة (شعب أعزل + س)".

-5-

ما هي القوة التي لا بد من وجودها لتنستقيم المعادلة؟ القوة غير المرئية التي تعادل ثلث مليون جندي مدججين بالسلاح وربع مليون عنصر أمن ومخابرات هم أوحش من وحوش الغاب، وعشرات الآلاف من الدبابات والمدرعات والطيارات والمدافع والصواريخ، ودعماً هائلاً غير محدود من دولة عاتية عجزت عن الوقوف في وجهها دولُ الإقليم؛ ما هي القوة الخفية التي جعلت شعباً أعزل قادرًا على التكافؤ مع نظام من أعتى وأقسى أنظمة الأرض تَمَدَّه من خلفه دولة من أقوى دول الإقليم

وتقاطر لنجده جموع الشيعة من كل مكان؟

هل توجد في يد الشعب السوري قوة تعادل ذلك كله؟ هل يستطيع كل أصدقاء السوريين (لو كان للسوريين أصدقاء حقيقيون) أن يقدموا لهم ذلك القدر الهائل من القوات والقدرات؟

افتحوا أعينكم يا أيها الناس وانظروا إلى الحقيقة: إنه الله رب العالمين. إنكم لن تروا الله جهرة، ولكنكم سترون يد القدرة الإلهية وهي تمتد إلى هذه الثورة وإلى هذا الشعب بالعنابة الربانية، بتهيئة أسباب القوة من حيث لا يعرف أحد ولا يُفْدَر أحد ولا يقدّر أحد.

إن المعادلة الحقيقة هي: نظام معه أسلحة الدنيا ودول الأرض، وشعب أعزل معه الله.

-6-

لقد كانت الثورة معجزة إلهية من يومها الأول، فإن البدء بها كان ضرباً من ضروب الخيال، ولو أن أحداً سأل السوريين قبلها بأيام لقالوا إن الثورة على النظام الأسدية المجرم من المستحيلات، فإن انتزاع جذوة من قلب الشمس أهون من تحدي ذلك النظام الموغل في الطغيان والإجرام.

بدأت الثورة بمعجزة وصمدت بمعجزة ونجت من كل المؤامرات والأخطار بمعجزة، وسوف تكون خاتمة معجزاتها وأعظمها هي معجزة الانتصار بإذن الله. إن كل ما نملكه من قدرات يبدو مضمحاً هزيلاً إذا ما قورن بما تملكه فرقه واحدة من فرق جيش الاحتلال الأسدية أو بما يملكه فرع من فروع المخابرات، ولكن من قال إن ما نملكه هو سبب الانتصار؟ إنما نحن أدوات وكل ما نملكه أدوات، والفاعل على التحقيق هو الله، والناصر يقيناً هو الله: {فلم تقتلواهم ولكن الله قتلهم}، {وما النصر إلا من عند الله}.

-7-

اصبروا يا أيها الناس، اصبروا واثبتو ولا تنهوا ولا تستسلموا. لا تتنازلوا عن حكم ولا تعطوا الدنيا لعدوكم، لا تقبلوا بغير النصر الكامل، فقد دفعتم الثمن غير منقوص:

ثمن المجدِ دمُ جُدنَا بِهِ فانظروا كيفَ دفعنا الثمنا ***

ادعوا بدعاء المؤمنين من جند طالوت: {ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا أفرغ علينا صبراً وثبتت أقدامنا}، تكون العاقبة لكم: {فهزموهم بإذن الله}. وادعوا بدعاء الآخرين من المؤمنين السابقين: {وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنبنا وإسرافنا في أمرنا وثبتت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين}. فماذا كانت النتيجة؟ {فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة}، قال أهل التفسير: ثواب الدنيا هو النصر والظفر على عدوهم وثواب الآخرة الجنة.

* * *

يا أيها المؤمنون، يا أهل سوريا الكرام: إن الناصر هو الله، وإن الله مع الصابرين، وإن النصر وراء باب الصبر، فاصبروا تُنصروا. إنه قانون النصر الذي فرره الله لعباده المؤمنين في معركتهم مع الطواغيت، والتفصيل في المقالة الآتية إن شاء الله.

المصادر: